عبد الضلال

كان لطرفة ابن عم اسمه عبد عمرو بن بشر، وقيل بل هو صهره زوج أخته الخرنق، وكان يخدم عمرو بن هند. وكان طرفة قد هجاه، لأن أخته شكت إليه شيئاً منه. فخرج ذات يوم عمرو بن هند إلى الصيد وخرج معه عبد عمرو، فلما توغلوا في الفلاة رأوا صيداً فقال الملك لعبد عمرو بن بشر: أنزل فبارزه، فنزل فعالجه فلم يقدر عليه، وكان عبد عمرو سميناً بادناً فقال له الملك عمرو: كأن ابن عمك طرفة رآك حين قال:

ولا خيرَ فيه، غيرَ أن له غِنى،
وأن له كِشحاً إذا قام، أهضما

فقال له عبد عمرو: وما هجاك به فهو أشد من هذا. قال: وما هو؟ قال: قوله: فليت لنا مكان الملك عمرو. وأنشده الأبيات فعرف طرفة فقال يهجو عبد عمرو:

[من الطويل]

لِهندٍ، بِحِزّانِ الشّريفِ طُلولُ،
تَلوحُ، وأدنى عهدِهِنّ مُحِيلُ[1]
وبالسّفْحِ آياتٌ، كأنَّ رُسومَها
يَمانٍ، وَشَتْهُ رَيدَةٌ وسَحُولُ[2]

(١) «الحزّان» مفرده حزين: ما غلظ من الأرض. «الشريف»: اسم موضع. «محيل»: مرّ عليه عام.
(٢) ورد البيت في لسان العرب ١١/ ٣٣١ مادة «سحل». =

أرَبّـتْ بـهـا نـآجَـةٌ تَـزْدَهـي الـحَـصـى،
وأسْـحَـمُ وكّـافُ الـعَـشـيِّ هَـطـولُ[١]

فَـغَـيّـرْنَ آيـاتِ الـدّيـارِ، مَـعَ الـبِـلـى؛
ولَـيْـسَ عـلـى رَيْـبِ الـزَّمـانِ كَـفـيـلُ[٢]

بـمـا قـد أرى الـحَـيَّ الـجَـمـيـعَ بـغِـبـطـةٍ،
إذا الـحَـيُّ حـيٌّ، والـحُـلـولُ حُـلـولُ[٣]

ألا أبـلـغـا عـبْـدَ الـضّـلالِ رِسـالـةً؛
وقـد يُـبـلِـغُ الأنْـبـاءَ عَـنـكَ رَسـولُ[٤]

دَبَـبْـتَ بِـسِـرّي بـعـدَمـا قـد عَـلِـمْـتَـهُ،
وأنـتَ، بـأسـرَارِ الـكـرامِ، نَـسـولُ[٥]

= «. . وسَحُول: قرية من قرى اليمن يُحمل منها ثياب قطن بيضٌ تُسمّى السُّحُولية، بضم السين. وقال ابن سيده: هو موضع باليمن تنسب إليه الثياب السُّحُولية؛ قال طرفة: . . . رَيدة وسَحُول: قريتان، أراد وَشَته أهل ريدة وسحول. «السفح»: أسفل الجبل. «آيات»: علامات.

(١) «أربت»: نزلت. «نآجة»: ريح عاصفة. «تزدهي الحصى»: تكنس ما على الحصى من رمال. «أسحم»: سحاب أسود. «وكّاف»: جمّ الأمطار. «هطول»: غزير الهطول.

(٢) «آيات الديار»: معالمها. «ريب الزمان»: مصائبه.

(٣) «بما قد أرى»: زمن رؤيتي. «الغبطة»: الشعور بالسعادة.

(٤) «عبد الضلال»: هو عبد عمرو بن بشر صهر الشاعر وابن عمه، وشى به إلى الملك عمرو بن هند بأن طرفة هجاه بقصيدة.

(٥) «دببت»: مشيت بسرعة. «نسول»: سريع المشي. قصد طرفة أن صهره لا يؤتمن على سرّ.

وكيفَ تَضِلُّ القَصْدَ؟ والحَقُّ واضحٌ،
وللحَقّ، بينَ الصّالحينَ، سَبيلُ

وفَرّقَ عن بَيْتَيْكَ سعدَ بنَ مالكٍ،
وعَوفاً، وعَمراً، ما تَشي وتقولُ[١]

فأنتَ، على الأدنى، شِمالٌ عَرِيّةٌ،
شَآميّةٌ، تَزْوي الوُجوهَ، بَلِيلُ[٢]

وأنتَ على الأقصى صَباً غيرُ قَرّةٍ،
تَذاءَبَ منها مُزْرِغٌ ومُسيلُ[٣]

وأنتَ امرُؤٌ منّا، ولَستَ بخَيرِنا،
جَوَاداً على الأقصى، وأنتَ بخيلُ

---

(١) «قصد ببيتيه»: قرابته من أعمامه وأخواله.

(٢) ورد البيت في: المصون، لأحمد العسكري: ١٠٩، لسان العرب ٨/ ٤٢٧ مادة «رزغ» وقيل: أرزغ المطرُ الأرض إذا بلّها وبالَغ ولم يَسِلْ؛ قال طرفة يهجو؛ وفي التهذيب يمدح رجلاً: وأنت، على الأدنى... وأنت... يقول: أنت للبُعداء كالصَّبا تسوق السحاب من كل وجه، فيكون منها مطر مُرزِغ ومطر مُسيل، وهو الذي يُسيل الأودية والتلاع، فمن رواه تذاءب بالفتح جعله للمُرْزغ، ومن رفع جعله للصَّبا ثم قال:

منها مُرزغ ومنها مُسيل

«الأدنى»: الأقرب. «شمال عرية»: ريح الشمال الباردة. «شآمية»: ريح تهب من الشمال. «تزوي الوجوه»: تزعجها فتبدو كئيبة. «البليل»: الريح التي تحمل معها الندى.

(٣) «الأقصى»: البعيد. «صبا»: ريح رقيقة تأتي من الشرق. «غير قرّة»: ليست شديدة البرودة مزعجة. «تذاءب»: جاء من باب وجهة. «مُزْرع»: مطر يرزع الأرض بوحل قليل. «مسيل»: مطر جارف يسيل.

فأصْبحْتَ فَقْعاً نابتاً بقَرارَةٍ
تَصَوَّحُ عنه، والذّليلُ ذليلُ[١]

وأعلمُ عِلماً ليسَ بالظّنّ أنَّهُ،
إذا ذَلّ مَولى المَرْءِ فهْوَ ذَليلُ[٢]

وإنَّ لِسانَ المَرْء ما لم تَكُنْ لَهُ
حَصاةٌ، على عَوْراتِهِ لَدَلِيلُ[٣]

وإنّ امرأً لم يعْفُ، يوْماً، فُكاهةً،
لِمَنْ لمْ يُرِدْ سُوءاً بها، لَجَهُولُ[٤]

تَعارَفُ أرواحُ الرّجالِ إذا التَقَوا،
فَمِنْهُمْ عدُوٌّ يُتّقَى وخليلُ[٥]

أورد لسان العرب ١/ ٣٢٤ مادة «حظرب».

[من الطويل]

«وكائن تَرَى مِنْ لَوْذعيٍّ مُحَظْرَبٍ،
وليس له عِنْدَ العزيمةِ، جولُ

يقول: هو مسدّد، حديد اللسان، حديد النظر، فإذا نزلت به الأمور،

---

(١) «الفقع»: الكمأة البيضاء الرخوة. «قرارة»: منخفض من الأرض. «تصوّح»: تتشقق.

(٢) ورد البيت في: الأمثال والحكم: ٢٠١، لسان العرب: ١/ ٣٢٣ مادة «حظرب». «مولى المرء»: ابن عمه الواشي، الإعجاز والإيجاز: ١٤١.

(٣) ورد البيت في: لسان العرب ١/ ٣٢٣ مادة «حظرب»: «حصاة»: عقل. «عوراته»: ما يخجله من النقائص.

(٤) «فكاهة»: ظرفاً وحسن خلق.

(٥) «الخليل»: الصاحب الصدوق.

وَجَدْتَ غيره ممن ليس له نظرُهُ وحِدّتُهُ، أقومَ بها منه، وكائن بمعنى كم. ويُروى يلمعيّ وألمعيّ، وهو الرجل المتوقِّد ذكاءً».

وأورد البيت أيضاً في ١/ ٣٥٩ مادة «حظرب».

قال أبو الهيثم: رجل مُحَظْرِبٌ إذا كان فصيحاً، بليغاً، متفنناً، وأنشد لطرفة:

وكـائِـنْ تـرى مِـنْ ألـمـعـيٍّ مُـخَـضْـرَبٍ
ولـيـس لـه عـنـد الـعَـزائـم جـولُ

قال أبو منصور: كذا أنشده بالخاء والضاد، ورواه ابن السكيت: من يَلْمَعِيٍّ مُحَظْرَبٍ بالحاء والظاء».

وأورد البيت أيضاً ٨/ ٣٢٧ مادة «لمع» «.. وأنشد الأصمعي لطرفة:

وكـائـن تـرى مـن يـلـمـعـيٍّ مـحـظـربٍ،
ولـيـس لـه عـنـد الـعـزائـم جُـولُ

رجل مُحظرب: شديد الخلْق مفتوله، وقيل الألمعيّ الذي إذا لمع أول الأمر عرف آخره، يكتفي بظنه دون يقينه، وهو مأخوذ من اللمع، وهو الإشارة الخفية والنظر الخفي».